الجواب عن إشكال :

ما فائدة الدعاء مع القَدَر ؟

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

(الدعاء فضائله وآدابه)

من الصفحة ٢٢ حتى الصفحة ٢٥

للشيخ الإمام

عبد الله سراج الدين الحسيني

بناء على توجيهات ولده

المهندس الشيخ

محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة

وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام

من موقعه الرسمي والوحيد

WWW.SRAJALDEN.COM

قسم مؤلفات الإمام

ـ المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :

الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

*** الوجه الثامن: الدعاء ينفع مِمَّا نزل ومِمَّا لم ينزل، ولا يردّ القضاء إلَّا الدعاء:**

روى الترمذي، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ الله بِالدُّعَاءِ».

فالدعاء ينفع في الأمور النازلة بالمكاره والشدائد فيرفعها، وينفع في الأمور التي سوف تنزل بالمكاره والشدائد فيدفعها.

وروى ابن حِبان في (صحيحه) والحاكم وصحح إِسناده، عن ثَوْبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لَا يَرُدُّ القَدَرَ

إِلَا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي العُمُرِ إِلَا البِرُّ، وإِنَّ الرَّجلَ لَيُحْرَمُ الرِزْقَ بِالذَّنْبِ يُذْنِبُهُ»[1].

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لَا يَرُدُّ القَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ في العُمُرِ إِلَّا البِرُّ» رواه الترمذي وحسنه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لَا يُغْني حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، والدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَ مِمَّا لَمْ يَنْزِل، وإِنَّ البَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَلْقَاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلى يَومِ القِيَامَةِ»[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إِنَّ الدُّعَاءَ يَرُدُّ القضاء، وإِنَّ البِرَّ يَزِيدُ فِي العُمُرِ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيْبُهُ» ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾[3].

فهذه الأحاديث تُبيِّن أَنَّ الدعاء ينفع مما نزل وممَّا لَمْ يَنزل، وأن الدعاء يرد القضاء؛ يعني: إذا استوفى شروطه.

وقد يَسْتَشْكل بعض الناس فيقول: إِنَّ الشيء الذي يدعو به المسلم إِنْ كان قد قدّر فلا بدَّ من وقوعه؛ دعا به العبد أو لم يدع، وإِنْ لم يكن قُدِّر فلا يقع أصلاً؛ سواء دعا به المسلم أو لا، فما فائدة الدعاء مع القَدَر؟ وكيف يُردّ القضاء بالدعاء ويعتلجان ويتقاومان؟!!.

---

(١) انظر: جميع ذلك في: (الترغيب)، وفي: (جامع الأصول) بعض ذلك.

(٢) رواه البزار والطبراني والحاكم، وصحح إسناده كما في: (ترغيب) المنذري.

(٣) قال العلامة الزرقاني رحمه الله تعالى:أخرجه النسائي وابن ماجه، وأحمد وأبو يعلى، والطبراني، والضياء في: (المختارة)، والعسكري. اهـ

فالجواب عن ذلك: إنَّ الله تعالى الذي قدر المقدورات، قَدَّر لها أسباباً، فهو سبحانه قدَّرَ مسببات، وقدّر الأسباب، فهو تعالى قدّر الشبع بسبب تناول الأكل، وَقَدّر الريَّ بسبب الشرب، وقدّر الولد بسبب الوطء، وقَدّر حصول الزروع بسبب البذر، وقَدّر ثمرات الشجر بسبب الغرس، وقَدَّر الحياة بسبب الهواء والماء والغذاء؛ وهكذا دواليك.

فالدعاء هو من أعظم الأسباب في النفع أو الدفع أو الرفع، والكل بقضاء من الله تعالى وقدر، فمن أنكر تأثير الدعاء في جلب المنافع ودفع الشرور، يلزمه إنكار جميع الأسباب وارتباط المسببات بها؛ وهذا باطل شرعاً وعقلاً.

فالأسباب والمسببات كلها مقدرة، وبالقَدَرِ يُدْفَع القَدَرُ، وَيُفَرُّ من القَدَر إلى القَدَرِ؛ كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بلغه أن الطاعون قد وقع في الشام وعزم على الرجوع بعد التشاور، فقال له أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: أَفِراراً من قدر الله يا عمر؟!.

فقال عمر رضي الله عنه: لو غيرك قالها ـ أي: قال هذه الكلمة ـ نعم يا أبا عبيدة نفر من قدر الله تعالى إلى قدر الله تعالى، أرأيت يا أبا عبيدة لو كانت لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان ـ أي: جانبان ـ إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إنْ رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإنْ رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟.

ثم جاء بعد ذلك عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال: إنَّ عندي من هذا علماً؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إِذَا سَمِعْتُم به ـ أي: الطاعون ـ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عليه، وإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ

وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا فراراً مِنْهُ»، فحمد اللهَ تعالىٰ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه، ثم انصرف بالناس[1].

فكما يُدْفَع قَدَرُ الجوع بَقَدرِ الطعام، ويدفع قدر الظمأ بقدر الشرب، وقدر المرض بقدر الدواء، والكل بإذن الله تعالى وقدره؛ كذلك يدفع قدر البلاء بقدر الدعاء، والكل بقضاءٍ وقدر.